مِنْ أَمْجَادِ الْجَزَائِرِ

(1962 - 1830)

سِلْسِلَة تَارِيخِيَّة ثَقَافِيَّة تَصْدُرُ عَنْ وَزَارَة الْمُجَاهِدِينَ

الشَّهِيدُ

مُحَمَّدُ عَرْعَارُ

1957 - 1928

منشورات المتحف الوطني للمجاهد

الشهيد

مُحَمَّدُ عَرْعَارُ

1957 - 1928

تصدير

تصدرُ هذهِ السلسلةُ التاريخيةُ المُخصصةُ للشهداءِ الرموزِ الذينَ يزخرُ بهمْ تاريخُ المقاومةِ والثورةِ التحريريةِ، لتُنيرَ أمامَ الأجيالِ ولاسيّما الشبابَ معالمَ دربِ النضالِ والجهادِ الذي شقّهُ ملايينُ الشهداءِ الأبرارِ بدمائهمُ الزكيةِ، وعبّدوهُ بأجسادِهمُ الطاهرةِ ليكونَ معبراً للجزائرِ ولشعبِها إلى الحريةِ والاستقلالِ.

تُعدُّ هذهِ السلسلةُ مُساهمةً منْ وزارةِ المُجاهدينَ في بناءِ الذاكرةِ الجماعيةِ وإثرائِها، تعزيزاً للجهودِ التي ما فتئتِ الدولةُ الجزائريةُ تبذلُها منْ أجلِ الحفاظِ على الهويةِ الوطنيةِ، ودعمِ تواصلِ الأجيالِ وتلاحمِها.

أرجو أنْ يجدَ الشبابُ الجزائريُ في هذهِ السلسلةِ ما يروي عطشهُ لمعرفةِ تاريخِ بلادِهِ وتضحياتِ شعبِهِ خلالَ المقاومةِ والثورةِ التحريريةِ التي تُعتبرُ مرحلةً هامةً في تاريخِهِ المجيدِ.

محمد الشريف عباس

وزير المجاهدين

حقوق التأليف والنشر محفوظة للمتحف الوطني للمجاهد 2010

ر . د . م . ك : 978-9961-884-62-1
الإيداع القانوني : 3990-2010

المتحف الوطني للمجاهد

ص .ب 168 – المدنية – الجزائر
الهاتف : 00.213.021 . 66. 92. 08 – 65 . 45. 06
الفاكس : 00.213.021 . 66 . 91 . 54

البريد الإلكتروني : mnm@museenat-moudjahid.dz

BP 168 EL - MADANIA - ALGER
TÉL : 00.213.021.66. 92.08-65.45.06
FAX:00.213.021.66.91.54

جَلَسَ الشَّيخُ مَعَ حَفيدَته سِهَام، وَأَخَذَ يُقَلِّبُ أَوْرَاقَهُ القَدِيمَةَ الَّتي خَبَّأَهَا في مِحْفَظَتِهِ؛ وَبَيْنَمَا كَانَ يُفَتِّشُ في مُحْتَوَيَاتِهَا وَقَعَتْ يَدُه على صُورَةٍ للشّهيدِ محمد عَرْعَار. اسْتَوْقَفَتْهُ الصُّورَة فَبَقِيَ يَنْظُر إِلَيْهَا مَلِيًّا. كَانت سِهَام تَجْلِسُ إِلَى جَانِبه، فَرَأَتِ الصُّورَةَ في يَدِ جدّهَا، وَأَخَذَتْ تَتَأَمَّلُهَا، ثُم قالت لِجدّها: مَن هُوَ صَاحِبُ هَذِهِ الصُّورَة؟

هَـلْ هُـــو من العَائِلَـــةِ؟ أَوْ صَدِيـــقٌ مِنْ أَصْدِقَائِك؟

قَالَ الجدُّ: هَذَا صَدِيقٌ قَدِيمٌ، عِشْنَا مَعًا في سنوات الثَّـــوْرَةِ! إنّه الشهيدُ محمّـــدُ عَرْعَارْ، المَعْرُوفُ بِسِي مُحمّد بوعزّة؛ وُلِدَ يَوم 15 مارس

سنة 1928 فِي زَاوِيةِ سِيّدِي محمّد بن عَبْد الله المَوجُودَةِ فِي ضَوَاحي جَبَل بُوعْرِيف المُطِلّ عَلى قَريَة "عيُونِ العَصافير"، حيْثُ كَانَ يُقِـيمُ وَالِدُه الشّيخُ امحمد عَرْعَار صَاحِبُ التّوَجُّه الإصْلاَحِي، والّذي كَانَ يُعَلّم النّشْءَ القِرَاءَة وَالكِتَابَةَ وَمَبَادِئَ العُلومِ الدِّينية.

في جَبَلِ بُوعْرِيف عَاشَ الشَّهِيدُ محمَّدُ عرعار، وَقَضَى شَطْرًا مِن طُفُولَتِهِ في ضَيْعَةِ عَائِلتِهِ التي تَقَعُ في دَشْرَةِ أولاد بوعزّة، والّتي تَبعُدُ عن قرْيَةِ دُوفَانَة بمسافَةِ أرْبَعَةِ كيلومِتْرَات.

وَاصَل الجدّ حَدِيثَهُ قَائلاً: لَقَد تَعَرَّفْتُ عَلَيْهِ لأَوّلِ مَرّةٍ فِي كُتّابِ الزَّاوِيَةِ المذكُورَة، وأَصْبَحتُ زَمِيلاً لَهُ في الدِّرَاسةِ؛ وأَعْتَرِفُ أَنَّهُ كَانَ ذَكِيًّا وَمُتَمَيِّزًا في اجتهادِهِ، لِذَلِكَ كَانَ دَائِمًا مُتَفَوِّقًا

في دُرُوسِهِ عَلَى جَمِيعِ أَقْرَانِهِ، لأَنَّ الله وَهَبَهُ قُدْرَةً عَالِيَةً على الحِفْظِ، قَلّ مَثِيلُهَا؛ إِذْ كَان يُدَوِّنُ عَلَى لَوْحَتِهِ رُبُعَ حِزْبٍ مِنَ القُرآنِ الكريم في كُلِّ يوْم، وَفِي وَقتٍ قَصِيرٍ كَانَ يَحْفَظُهُ حِفْظًا سليمًا، وَيَسْتَرْجِعُــهُ مِن ذَاكِرَتِهِ عَنْ ظَهْرِ قلْبٍ بصورَةٍ مُثِيرَةٍ للدّهْشَةِ، فَكَان لذلك مَحَـلّ إِعْجابِ الشّيخ والأولاَدِ الّذين كانوا يَدْرسُون مَعَهُ.

سِهَام: هل كُنْتَ مِثْلَه يا جدّي في الذّكاءِ والاِجتِهاد؟

الجدّ: لَمْ أَكُنْ مِثْلَه فِي الذَّكَاءِ، وَلَكنّي كُنتُ مِثْلَهُ فِي الاجْتِهَادِ. ثُمَّ عَادَ إِلَى مُوَاصَلَةِ الحَدِيثِ عَنْ زَمِيلِهِ، فَقَالَ:

ظلّ الشّهِيدُ محمّد عرعار يُتَابِعُ تَعَلُّمَهُ في الزّاوِيَة؛ حَفِظَ القُرآنَ الكَرِيمَ كُلَّه، ثُمَّ انْضمَّ إِلَى

حَلَقَاتِ العِلْم التي كَانَتْ تُعْقَدُ فِيهَا لِلطّلاّب الذين حَفِظُوا القرآنَ الكَرِيمَ كُلَّهُ. قَضَى ستَّ سنواتٍ بأَكْمَلِهَا في طَلَبِ العِلْم فِي هَذِهِ الزَّاوِيةِ مِنْ سَنَةِ 1938 إلى سنة 1944، وَفِي السّنَةِ الأخِيرَةِ غَادَرهَا. وَلكنَّ رَغْبَتَهُ في مُوَاصَلَةِ الدّرَاسَة جَعَلَتْهُ يَتَوَجَّهُ إِلى الزّاوِيةِ الحمْلاوِيَة في سنة 1945، فَدَرَسَ فِيهَا سنةً واحِدَةً ثُمَّ الْتَحَقَ بِالمَعْهَدِ الكتّانِيّ في مَدِينَة قَسنْطِينَةَ. قَضَى فِيهِ مَوْسِمَيْن درَاسِيّيْن، ثُمَّ شَدَّ الرّحَالَ إِلى جَامِع القَرَوِيّينَ بمدِينَةِ فاس بالمَغْرب الأقْصى فِي عَام 1950 طَلَبًا للمَزيدِ من العِلم في ذلك الجامع المعْمُور.

سِهَام: كَمْ لَبِثَ فِيه؟

الجدّ: لم تَطُلْ مَدَّة دِرَاسَتِهِ فِي المغْرب، لأَنَّه كَان يَرْغَبُ فِي الذَّهَابِ إِلَى مِصْرَ مِنْ أَجْلِ دُخولِ

كُلِّيَةٍ مِنَ الكُلِّيَاتِ العَسْكَرِيَّةِ لِيَتَلَقَى فِيهَا تَكْوِينًا عَسْكَرِيًّا، غَيْرَ أَنَّهُ مَرّ فِي هَذِهِ الفَتْرَةِ بِظُروفٍ قَاسِيَةٍ، نَظَرًا لِعَدَمِ قُدْرَتِهِ عَلى توفيرِ مَصَارِيفِ الحَياةِ ومُسْتَلزمَاتِ الدِّرَاسةِ، فَعَاشَ أزْمَةً كَبيرَةً، حَتَّى أصْبَحَ عَاجِزًا عن تَوْفِير لُقْمَةِ العيْش.

وَلَمَّا ضَاقَ عَلَيْهِ الأمْرُ وَجَدَ نَفْسَهُ مُضْطرًّا إِلَى العَمَلِ، فَمَارَسَ مِهْنَةَ الحِلاَقَةِ وَهُوَ فِي طَرِيقِهِ إِلَى مِصْر، واسْتَمَرَّ فِي مُمَارَسَتِهَا إِلَى أَنْ تَوَفّرتْ لَهُ شُرُوطُ مُوَاصَلَةِ الرّحلةِ إلى القاهرة.

تَوَقّف الجدّ قَليلاً عنِ الكلاَم، وَقَالَ لِسِهَام:

أَرْجُوكِ يَا عَزِيزَتِي أنْ تُصْغِي إِلَى حَدِيثِي عن هَذِهِ المَرْحلَةِ مِنْ حَيَاةِ الشّهِيدِ باهْتِمَام، لأنّني أَعْرِفُ أَنّكِ تحِبِّينَ سَمَاعَ تَاريخ أبْطَالِ ثَوْرَتِنَا، والشهيدُ واحِدٌ منهم.

سِهَام: أَجَلْ يا جَدّي، واصِلْ واصِل.

الجدّ: وَصَل محمّد عَرْعَار إلى مَدِينَةِ القَاهِرةِ التي كانَتْ الحُلْم الذي سَعَى إِلَيْه، وفِيهَا وَجَدَ مَنْ سَاعَدَه على الالْتِحَاقِ بِكُلّيَةٍ عسْكَرِيّةٍ لُمتَابَعَةِ تَدْرِيبٍ في مُمَارَسَةِ بَعْضِ الفُنُونِ الحَرْبيّةِ. وَكَانَ الَّذِي سَاعَدَهُ فِي ذَلِكَ المَرْحُوم عَبْد الكَرِيم الخَطَّابِي قَائِدُ ثَوْرَةِ الرِّيفِ بِالمَغْرِب والَّذِي كَانَ يَرْأَسُ مَكْتَبَ تَحْرِير المَغْرِبِ العَرَبِيّ فِي القَاهِرَةِ فَبَعَثَهُ هُوَ واثْنَيْنِ مِنَ الطَّلَبَةِ المَغَارِبَةِ إِلَى العِرَاق وَهُنَاكَ دَخَلَ الكُلِيَّةَ العَسْكَرِيَة. وَلَمَّا أَنْهَى تَدْرِيبَهُ قفَلَ رَاجِعًا إلى الجَزَائر، وَأَثْنَاءَ رُجُوعِه انْدَلَعَت الثَّوْرَةُ. فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى مَسْقَطِ رَأْسِهِ عُيِّنَ إِطَارًا عَسْكَرِيًا فِي جَيشِ التَّحْرِير، فَعَمِلَ مُدَرّبًا مَيْدَانيًّا لِوَحَدَاتِ جَيْشِ التَّحْرِير الوَطَنِيّ خِلاَلَ سَنَة 1956 بِصِفَتِهِ مَسْؤُولاً عَلَى النَّاحِيَةِ الرَّابِعَةِ

بِكيمل؛ فَرَكَّزَ أَكْبَرَ اهْتِمَامِه عَلَى تَمْكِينِ أَفْرَادِ جيشِ التَّحْرِير الوطنيّ مِن التّمرُّنِ عَلَى فُنُونِ القِتَالِ والمُجَابَهَةِ، وَممارَسةِ الهُجُوم والدِّفاعِ. وزِيَادَةً عَلَى المَهَامِّ الكَبِيرَةِ التي أُسْنِدَتْ إِلَيه اخْتَارَهُ القَائدُ مُصْطَفَى بَنْ بُولْعِيد كَاتِبًا خَاصًّا لَهُ، لِيُحَرِّرَ تَقَارِيرَه بِاللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ.

وَفي إِطَار المهامّ التي كَانَ يُمَارِسُهَا سَافَرَ الشَّهِيدُ محمّد عرعار فِي قَافلــة عَسْكَرِيَّــةٍ إِلَى تُونِس، وَهُنَاكَ تَمَّ تَعْيينُهُ مَسْؤُولاً عَلَى المَنْطِقة الثَّانية من وِلاَيَةِ الأَوْرَاسِ، بَعْدَ تَرْقِيَتِه إِلَى رُتْبَة ضَابِط ثَانٍ (نَقيب)، وَبِمُجَــرّدِ رجُوعِه مِنْ تونِس شَرَعَ فِي تَنْظِيمِ المَنْطِقَةِ الّتي عُيّنَ عَلَى رَأْسِهَا تَنْظِيمًا مَدْروسا.

وَلّمّا جَاءَه الأمْرُ بالسَّفَرِ مَرّة ثانيةً إِلَى تُونِس

ارْتَأَى أَنْ يَقُومَ بِزِيَارةِ وَالِدِهِ فِي ضَاحِيَةِ بوعريف للاطْمئنَانِ عَلَيهِ وتَوْدِيعِهِ.

سَارَ محمد عرعار وَمَنْ كَانَ مَعَهُ مِن الجُنُود إِلَى حَيْثُ يَسْكنُ وَالِدُه مُتّخذًا أُسْلُوبَ التّمْوِيهِ لِمُغَالَطة العَدُوّ، مُتَحَدِّيًا الأَخْطَارَ الَّتِي كَانَتْ تُوَاجِهُهُ شَوْقًا إِلَى رُؤيَةِ أَبِيه.

سِهَام: هَل وَقَعَ لَهُ مَكْرُوهٌ أَثْنَاءَ الطَّرِيقِ؟

الجدّ: نَعَم، فِي فَجْرِ يوم 11 أوت 1957 وَجَد الشَّهيد محمّد عرعار وَرِفَاقُه أَنْفُسَهُمْ مُحَاصَرِين فِي المَكَان، الَّذي بَاتُوا فِيهِ، الأَمْرُ الَّذِي دَفَعُهم إِلَى خَوضِ مَعْرَكةٍ غَيْرِ مُتَكَافِئَةٍ؛ كَانَ العَدُوُّ قَدْ هَيَّأَ لَهَا وَخَطّطَ بِهَدَفِ الانْتِقَام من الثَّوْرَةِ التي لم يَعُدْ يَتَحَمَّلُ انْتِصَارَاتِهَا المُتَتَالِيَةِ، وَقَد اسْتَدْعَى لِخَوْضِهَا جَيْشًا مُدَجّجًا بِأَسْلِحَةٍ ومُعَدَّاتٍ حَرْبِيَّةٍ

مُرْعِبَةٍ تُطلِقُ نِيرانًا وَحِمَمًا حَارِقَة.

بَدَأتِ المُوَاجَهَةُ مَعَ طُلُوعِ الفَجْرِ، وَاسْتَمَرّتْ عَنِيفَةً حتى آخِرِ سَاعَاتِ المَسَاء.

لَجَأَ العدوُّ أَثْنَاءَهَا إِلَى اسْتِعْمَالِ كُلّ الأَسْلِحَةِ الفَتَّاكَةِ وَالقَنَابِلِ المُحْرِقَةِ (مَادّةِ النّابَالم)، مِمَّا تَسَبَّبَ في انْتِشَار لَهِيبِ النّيرَانِ التي حَصَدتْ أَلسِنَتُهَا المُتَصَاعِدَةُ الأَشْجَارَ، وكُلّ مَا وَجَدَتْهُ في طَرِيقِهَا. وَفِي مَسَاءِ اليومِ نَفْسِهِ ذَاعَ خَبَرُ اسْتِشْهَادِ البَطَلِ محمّد عرعار، فَاسْتَقْبَلَ المجاهِدُون النَّبَأَ المؤلم بِحُزْنٍ عَمِيقٍ، وَتَأَثُّرٍ بَالِغ.

هَكَذَا كَانَتْ نِهَايَةُ هَذَا البَطَلِ الَّذِي فَازَ بِالشَّهَادَةِ فِي هَذِهِ المَعْرَكَةِ إِلَى جَانِبِ عَدَدٍ مِنْ إِخْوَانِهِ.

سِهَام: إِنَّهُ رَجُلٌ عَظِيمٌ، وبَطَلٌ كبيرٌ، أُرِيدُ أَنْ أَعْرِفَ بَعْضَ صِفَاتِهِ الخُلُقِيَّة.

الجد: كَانَ الشَّهِيدُ عرعار مُتَوَاضِعًا مُتَسَامحًا مُحِبًّا للغير، يُقَدِّرُ النّاسَ جَميعًا، وَيُنْزِلُ كُلَّ وَاحِدٍ مَنْزِلَتَه اللاَّئِقَةَ بِهِ، ويُحْسِنُ التّصرّفَ فِي كُلِّ المَواقِفِ، وَكَانَتْ عَلاَقَتُه برُؤَسَائِهِ طَيبةً مَمْلُوءَةً بالودِّ والاحترام، وَكَانَ في نِقَاشِهِ قَويَّ الحُجَّةِ، بِمَا كَانَ يُقَدِّمُهُ مِنْ أَدِلّةٍ قَاطِعَة.

وَكَمْ كَانَ الشَّهِيدُ محمّد عرعار فَخُورًا ومعْتَزًّا بعظمةِ الثّوْرَةِ! التي بَرْهنَتْ للعَالَمِ عَلَى أَنَّهَا ثَوْرَةٌ عَظِيمَةٌ وَقَائِمَةٌ عَلَى الحَق.

وبذلك أَصْبَحَتْ مَضْرِبَ المثَلِ في مَشْرقِ الأَرْضِ وَمَغْرِبِها.

وَحِينَ وَصَلَ الجَدُّ إِلَى الحَدِيثِ عَنْ عَظَمَةِ الثَّوْرَةِ

فَاضَتْ عَيْنَاه بالدُّمُوع، وَبَدَتْ عَلى وَجْهِهِ عَلاَمَاتُ التَّأَثُّرِ والحُزْنِ، لأنّه تذكّر بَعْضَ مَنْ كَانُوا مَعَهُ فِي الجِبَالِ، مِنَ الشُّهَدَاء.

الْمَجْدُ وَالْخُلُودُ لِشُهَدَائِنَا الأَبْرَارْ